مقاصد العقيدة في كتابات محمد المبارك

د. حجيبة شيدخ
جامعة باتنة -1-

الملخص:

محمد المبارك مفكر سوري من أصول جزائرية تميز بالجمع بين الثقافتين الغربية والإسلامية كانت له وقفات مميزة في مراجعة التراث الفكري الإسلامي وبخاصة في المجال العقدي . نريد من خلال هذا المقال الإسهام في التعريف بهذه الشخصية العلمية وما قدمته من جهد في إظهار المعاني الحكمية أو المقصدية للعقيدة الإسلامية.

Abstract:

Mohammed Al Mubarak is a Syrian thinker of Algerian origin . Combining Islamic culture and Western culture . It had a distinct and stops in a review of the Islamic heritage , especially in the Islamic faith field .

We want through this article to know this thinker And his efforts to show the wisdom, or meanings for Islamic faith

عرفت الحركة الفكرية في القرن العشرين جهودا معتبرة لمفكرين مسلمين اهتموا بالكتابة في مختلف مجالات الفكر الإسلامي، وقدموا مراجعات للتراث الفكري القديم كما أنهم اجتهدوا في الكشف عن مواطن كثيرة من الإسلام لم يعن بها القدماء، ومحمد المبارك من المفكرين المسلمين الذين تميزوا بالجمع بين الثقافتين الغربية والإسلامية وكانت له وقفات مميزة في مراجعة التراث الإسلامي وبخاصة في المجال العقدي . فمن هو محمد المبارك وما هي جهوده في إظهار المعاني الحكمية أو المقصدية للعقيدة الإسلامية ؟

أولا: التعريف بمحمد المبارك:

محمد المبارك عالم سوري من أصل جزائري ولد في دمشق عام: 1912م في أسرة عرفت بعراقتها في العلم وحبها للإسلام، فقدكان جده محمد المبارك من علماء اللغة العربية المهتمين بها وهو أحد أفذاذ الأدباء في عصره، له نثر وله شعر، وله آثار مروية تدل على

فضله وملكته[1] ووالده الشيخ عبد القادر المبارك من علماء الشام في اللغة والأدب، كان من أعضاء اللجنة التي ألفت في عهد الملك فيصل الأول لتعريب

المصطلحات العسكرية، كما اختير عضواً في المجمع العربي بدمشق حين تأسيسه، وكان كذلك عالماً بالسيرة ووقائعها وبتراجم الرجال ومشاركاً في العلوم الإسلامية ومتقناً للغة التركية وعارفاً بالإنجليزية. وله رسائل أدبية مطبوعة وشرح لعشر من مقامات الحريري[2] وقد درس عليه يقول "كما قيض لي أن أقرأ على والدي –رحمه الله– وهو من أشهر شيوخ اللغة في بلاد الشام في مثل شروح المعلقات ولامية العرب والمقصورة الدريدية ومقامات الحريري وغيرها إلى جانب المذاكرات العلمية المتنوعة"[3]

وقد كان لهذا الوالد العالم أثر كبير على شخصية محمد المبارك يقول: "كانت دار والدي مرتادا للعلماء الوافدين من أرجاء البلاد الشامية والعربية، وكنت دائم الحضور لتلك اللقاءات والندوات، وقد استفدت كثيرا من مكتبة جدي ثم والدي –رحمهما الله – وكنت مكلفا بتزويدها بالمطبوعات الجديدة وتصنيفها كلما اختل ترتيبها"[4] ثم يقول عن تأثير والده في تكوينه: "لقد كان لوالدي رحمه الله، أثر في توجيهي وتكوين شخصيتي العلمية والاجتماعية بأسلوبه الشخصي الفذ الذي عرف به بين جميع تلاميذه، وقد كان بالنسبة لي مرشداً مربياً وأستاذاً معلماً ووالداً، علمني الحرية الشخصية. وكثيراً ما كنا نختلف في الرأي ونتناقش بحرية، وكانت طريقته في الأخلاق والدين توجيهاً لا إكراه فيه، ولا قسر، ولا مضايقة، وكان كثيراً ما يلاعبنا ونحن صغار، ويتبارى معنا بالكرة، نضربه بها ويضربنا، والماهر منا من يفلت من إصابتها، وعلمنا السباحة . وكان يحب الرجولة ومظاهرها، ويكره الضعف والتخنث، وكان كريماً يكره البخل والبخلاء، وكانت له في البلد وعند الحكام

[1] – علي الطنطاوي، ذكريات –1989–دار المنارة –جدة –ج 1 ص 120

[2] – موقع، مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجية

[3] ––محمد المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية – دار الفكر– ص 21.

[4]– محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم –عالم المعرفة جدة – 1980 دار الفكر بيروت – ج،1 ص232.

وجاهة وزعامة لقوة شخصيته وكثرة تلاميذه وتلاميذ أبيه، وكثرة مخالطته لمختلف الطبقات، وكان في المجالس العامة محدثاً بارعاً "[5].

ويذكر محمد المبارك في كتابه "الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية "أنه أتيح له في عهد حداثته أن ينهل في آن واحد من الثقافتين: الثقافة المسماة بالحديثة أو العصرية — في مدارس الحكومة الابتدائية والثانوية – وقد كانت مقتبسة من المنهج الفرنسي. وفي الحلقات الخاصة كان مصاحبا لشيخ علماء الشام يومئذ: محمد بدر الدين الحسني المشهور بالمحدث الأكبر (ت 1935) وقد قرأ عليه في خلال الفترة (1926–1935) الكثير من كتب الثقافة الإسلامية في شتى العلوم: كالتفسير والحديث وأصول الفقه والفرائض والنحو والمنطق والتصوف والحساب والجبر والهندسة والفلك في مصادرها العربية القديمة[6] وقد تأثر محمد المبارك كثيرا بهذا العالم الجليل، وكان يكن له المحبة والتقدير والإعجاب وقد كان أوسع أهل زمانه اطلاعا على العلوم الإسلامية بجميع فروعها وإن كانت شهرته في الحديث وكان يأخذ عنه في الدروس العامة والخاصة وذلك في مدرسة الحديث الأشرفية (التي كان يدرس فيها الإمام النووي) وقد لازمه إلى وفاته سنة 1935[7]. وعن هذا الشيخ يقول محمد المبارك: "وكان لشيخنا العظيم العلامة الكبير الصالح التقي المتعبد الشيخ محمد بدر الدين الشهير بالحسيني محدث الديار الشامية في عصره، أثر عميق في نفسي في طراز حياته الفريد من نوعه وفي سمته وتقواه وانكبابه على العلم واطلاعه على العلوم بل الثقافة الإسلامية بجميع فروعها، وكانت له بي عناية خاصة في تعليمي وتوجيهي، وكانت له في توجيهه مرام بعيدة، وكان من جملتها توجيهي بطريقة غير مباشرة، لتعلم اللغة الأجنبية وتشجيعي على السفر إلى أوروبا للتعلم، ولم يكن ذلك مألوفاً من أمثاله من علماء العصر.

---

[5] – محمد المبارك نقلا عن –محمد المجذوب، موقع أدباء الشام.

[6] – محمد المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية – دار الفكر– ص 21.

[7]– حسني ادهم جرار، محمد المبارك العالم والمفكر والداعية–الطبعة الأولى 1998 —دار البشير — ومؤسسة الرسالة الأردن، عمان — ص 19، 20.

وكان أكثر دهره صائماً، قلما يتكلم إلا بعلم أو ذكر، يمنع الناس من القيام له ومن تقبيل يده، ويغضب لذلك . وكان يعلن في دروسه فرضية الجهاد لإخراج الأجنبي الكافر المستعمر، وكان على صلة مستمرة مع الثائرين على فرنسا في سورية"[8] ويذكر المبارك أنه توسع في دراسته الشخصية في دراسة الفقه وخاصة على المذهبين الحنفي والمالكي[9]

حصل على الشهادة الثانوية في القسم العلمي عام 1932م. ولما كان متفوقاً في اللغة العربية فقد اختار دراستها في مدرسة الآداب العليا (كلية الآداب)، بالإضافة لدراسة الحقوق، وتخرج فيهما عام 1935م[10].

ومن الذين أثروا في توجيه المبارك الفكري من القدماء بآثارهم التي قرأها ابن تيمية وابن قيم الجوزية، إذ وقع في مكتبة جده على كتاب الحسبة لابن تيمية فأعجب بتفكيره كما قرأ كتاب (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) ثم اطلع على (أعلام الموقعين) لابن القيم وكان حينئذ طالباً في الحقوق. ولهذه الكتب الثلاثة صلة بالعلوم الحقوقية ففتحت أمامه آفاقاً جديدة وكشفت له عن جوانب من عظمة التشريع الإسلامي ومن إبداع الفقهاء والمفكرين المسلمين، ثم اطلع على مجموعة رسائل ابن تيمية وغيرها من الكتب، فاسترعى انتباهه النقاش بين الصوفيين والسلفيين. وعن ذلك يقول: "وممن أثروا في توجيهي الفكري من القدماء بآثارهم التي قرأتها ابن تيمية ثم من بعده تلميذه ابن قيم الجوزية ... ذلك أني وقعت على كتاب الحسبة لابن تيمية في مكتبة جدي، فأعجبت بتفكيره ونقاشه وبحثه، كما قرأت كذلك كتاب" الطرق الحكمية في السياسة الشرعية "ثم اطلعت على أعلام الموقعين لابن القيم، وكنت حينئذ طالباً في الحقوق، ولهذه الكتب الثلاثة صلة بالعلوم الحقوقية، ففتحت أمامي آفاقاً جديدة وكشفت لي عن جوانب من عظمة التشريع الإسلامي من جهة، وعن إبداع الفقهاء والمفكرين المسلمين، ثم وجدت في مكتبتنا مجموع

---

8 – محمد المبارك، نقلا عن، محمد المجذوب موقع أدباء الشام.

9 – محمد المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، ص 21.

10– المصدر نفسه، ص 21 وانظر أيضا: حسني أدهم جرار، محمد المبارك العالم المفكر والداعية، ص19.

رسائل ابن تيمية، وكتاب "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح". واستهواني النقاش بين الصوفيين والسلفيين الذي وجدت في موضوعه مادة خصبة في مكتبتنا وعديداً من الكتب التي تمثل الفريقين، فأولعت بتتبع هذا النقاش. ومن خلال هذه القراءات تولد عندي ميل شديد لمدرسة ابن تيمية وتلميذه، وأعجبت بسعة علمه وعلو مستوى تفكيره وبعد آفاقه وحسن فهمه للنصوص واستنتاجاته، كما أعجبت بفقه ابن القيم وتعليلاته وأبحاثه، لقد كانت صلتي بهذين الإمامين وآثارهما أكثر بكثير من صلتي بآثار محمد عبده ورشيد رضا، بل إني أعترف بأني صلتي بهما كانت ضعيفة ضئيلة، وقراءتي لهما نادرة ومتأخرة جداً. وفي مقابل ذلك كنت أقرأ للمحدثين من أفكار الفكر الفلسفي الحديث مثل فريد وجدي وأمثاله.

إن تأثير ابن تيمية كان واضحاً في تحريري من كثير من الأفكار التي كانت شائعة في البيئة التي نشأت فيها، وقويت عندي ملكة الرجوع إلى الدليل من الكتاب والسنة، وكنت بدأت بسلوك هذا الطريق إثر مطالعتي الكثيرة لكتاب "بداية المجتهد" لابن رشد و"الموافقات، للشاطبي، ولم يعد احترامي لشيخي ووالدي رحمهما الله ومحبتي لهما، بمانعين لي من مخالفتهما في الرأي حينما يتضح لي الدليل الشرعي والعقلي"[11].

كما يذكر محمد المبارك أنه كان شديد التأثر بالأمير شكيب أرسلان إذ كان له أثر عظيم في نفسه بما كان ينشره في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية يقول: "وقد كان له الفضل الأول علي وعلى أبناء جيلنا في تكوين وعي إسلامي يصلنا بالعالم الإسلامي، ويشعرنا بانتمائنا إلى الأمة الإسلامية، ويتجاوز بنا الوطنيات والقوميات التي كانت لها يومئذ سوق رائجة، وقد جعلنا نعيش في أجواء المشكلات الإسلامية وقضايا الإسلام المعاصرة بكتبه ومقالاته. وقد أتيح لي بعد ذلك أن أجتمع به في باريس حين إقامتي فيها. وقد كان رحمه الله مطارداً من جميع دول الاستعمار، بل من أنصار الوطنية في بلده الذين يحلونها محل الإسلام، ومن دعاة الرابطة القومية الذين يكرهون الرابطة الإسلامية ويحاربونها[12].

---

[11]- محمد المبارك: نقلا عن محمد المجذوب موقع أدباء الشام.

[12]- المرجع السابق.

بعد أن تخرج محمد المبارك من الجامعة السورية، أوفدته الدولة مع من أوفدتهم إلى جامعة السوربون في بعثة نجح في مسابقتها وكان الفائز الأول ليدرس في كلية الآداب وفي معهد الدراسات الإسلامية التابع لها ثلاث سنوات. درس في السنة الأولى الأدب العربي والثقافة الإسلامية، وعرف المستشرقين عن كثب، وكثيراً ما كان يصحح لهم معلوماتهم. وخصص السنة الثانية من دراسته لدراسة الأدب الفرنسي وعصوره وفنونه وأعلامه، وكان من أبرز أساتذته الأستاذان المستشرقان المشهوران: مارسيه وماسينيون. يقول: "تابعت دراسة الأدب وعرفت المستشرقين عن كتب ولم أجد عندهم مادة علمية أستفيد ها في أكثر الموضوعات بل كثيرا ما كنت أصحح لهم معلوماتهم، ولكن كنت أستفيد من معرفة المراجع وبعض أساليب البحث"[13] أما السنة الثالثة فخصصها لدراسة علم الاجتماع وكان أساتذته من كبار علماء الاجتماع الفرنسيين. وقد استفاد المبارك من فرعي الأدب الفرنسي وعلم الاجتماع استفادة كبيرة جداً مكنته من الولوج في صميم الثقافة الغربية والتفكير الغربي ومذاهبه الفكرية والأدبية من منابعها الأصيلة وعن طريق الاختصاص من أهلها[14].

وفي باريس كان محمد المبارك نشيطا لا يقتصر نشاطه على حضور المحاضرات في الجامعة بل كان يحضر المنتديات والمحاضرات العامة ويتردد على مختلف المعاهد العلمية والنوادي على تعدد اتجاهاتها وألوانها.وعن ذلك يقول: "وكنت أحضر إلى جانب ذلك في مختلف ندوات العلم والسياسة في باريس فقد استمعت إلى: موريس توريز الزعيم الشيوعي كما استمعت إلى أسقف باريس وخطيبها المشهور الكاردينال: فردييه، وأصغيت إلى: بول فاليري الشاعر المشهور، كما أصغيت إلى الكاتب الكبير أندريه موروا، وشهدت روايات موليير وراسين في المسرح الكلاسيكي كما شهدت تمثيل رواية الأم لمكسيم جوركي في المسرح الشعبي"[15] كما كان المبارك يتصل في باريس بزعماء الحركات الإصلاحية والتحريرية

---

13 – محمد المبارك، نقلا عن محمد المجذوب موقع، أدباء الشام.

14 – موقع، موسوعة الإخوان المسلمون.

15 – محمد المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، ص 22.

في العالم الإسلامي كجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفي مقدمتهم المرحوم الفضيل الورتلاني، واستمر يتردد على أنديتهم ويتعاون معهم في مجال الدعوة الإسلامية[16].

وقد كان لتجربة الدراسة في باريس والإطلاع على الثقافة الغربية دور كبير في صياغة شخصية المبارك التي تبنت فيما بعد قضية الدفاع عن الذاتية الإسلامية أمام المذاهب والأفكار الغربية. ولم يكن لبريق الثقافة الغربية تأثير على أصالة الثقافة الإسلامية التي تزود بها المبارك منذ الصغر وهذه الدراسة وسعت آفاقه وأكسبتنه بعض المزايا الفكرية ولاسيما في طرائق البحث وأساليب التفكير، ولكنها لم تستطع أن تؤثر في معتقداته ولا أن تغزو عقله، ولكنها زودته بمعلومات نافعة ومناهج مفيدة، وأثاره جانبها السلبي وحفزه للرد عليها .

ومحمد المبارك من العلماء الأوائل الذين دعوا إلى ضرورة أسلمه العلوم الإنسانية وبخاصة العلوم الاجتماعية ذلك أنه درس علم الاجتماع على كبار علماء الغرب وتعرف على خصائص الثقافة الغربية وكونها مناقضة لأصول الإسلام وعن ذلك يقول "أما السنة الثالثة فخصصتها لدراسة علم الاجتماع دراسة كثيفة ومركزة، بحضور المحاضرات والعكوف على المراجع في المكتبة . وكان أساتذة القسم من كبار علماء الاجتماع الفرنسيين من تلاميذ "دوركايم" وزملائه مثل "فوكونه" و"هالفاكس" و"البيريان". وكانت استفادتي من هذين الفرعين الأدب الفرنسي وعلم الاجتماع كبيرة جداً، فقد مكنتني من الولوج في صميم الثقافة الغربية والتفكير الغربي ومذاهبه الفكرية والأدبية من منابعها الأصلية، وعن طريق الاختصاصين من أهلها، لا بالواسطة وعن طريق الترجمة"[17]

لقد مكنته دراسته للفكر الغربي من معرفة مواطن الخلل فيه وقد كان من الذين اهتموا اهتماما ملحا بضرورة إعادة النظر في علم الاجتماع ومحتوى تدريسه في البلاد الإسلامية.

يقول مصطفى الزرقاء: "كان الأستاذ محمد المبارك أوّل من فكر بضرورة إعادة النظر في علم الاجتماع الذي يدرس بوضعه الحالي الذي يؤدي إلى الإلحاد، حيث يرى

---

[16] – المصدر السابق، ص 22.

[17]– محمد المبارك نقلا عن محمد المجذوب موقع أدباء الشام.

ضرورة كتابة علم اجتماع إسلامي متفق مع مسلمات الإسلام وثوابته في القرآن والسنة النبوية، وقد كلف في آخر حياته في الجامعة الأردنية بتدريس علم الاجتماع الإسلامي على صعيد الجامعة للطلاب من جميع الكليات"[18].كما درسه لطلاب الشريعة بجامعة دمشق ثم في كلية البنات بجامعة أم درمان الإسلامية عام 1968–1969[19] وقد اعتنى بدراسة علم الاجتماع من المنطلق الإسلامي ،كما اهتم في دراسته الاجتماعية بدراسة المجتمعات الإسلامية والعوامل والتيارات المؤثرة فيها، وبوجه خاص التيارات الفكرية المعارضة للإسلام، ويرى أن الاهتمام بهذا النوع من الدراسات يحتاج إليه في مجال الدعوة لإسلامية ومعرفة المجتمع الإسلامي المعاصر وما يواجهه من مشكلات وأفكار وتيارات.[20]

بعد ما تقدم نستنتج أن أهم العوامل التي شاركت في صياغة شخصية محمد المبارك المتميزة: الأسرة التي عاش في وسطها وما تميزت به من الحفاظ على الدين والعلم، إلى جانب التلقي المباشر على أكبر علماء عصره الشيخ بدر الدين الحسني، والتلقي غير المباشر على الشيخ ابن تيمية وابن قيم الجوزية والشاطبي إلى جانب الاتصال بزعماء الحركات الاصطلاحية والتحررية كالأمير شكيب أرسلان وزعماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هذا من جهة الثقافة الإسلامية أما من جهة الثقافة الغربية فقد مكنته دراسته في السوربون من التعرف المباشر على التفكير الغربي والاستشراقي ومواطن الخلل فيه والتمكن من نقده.

ثانيا: تجليات مقاصد العقيدة في كتاباته:

الذي اشتهر عند العلماء هو مصطلح مقاصد الشريعة، وقد أفرد الشاطبي لهذا العلم جزء من كتابه: الموافقات إلا أنه لم يعط له تعريفا، يقول الريسوني معلقا على ذلك: "ولعله

18– موقع، موسوعة الإخوان المسلمون.

19 – محمد المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية –دار الفكر 1980م – ص 5.

20– محمد المجذوب، موقع أدباء الشام.

اعتبرا لأمر واضحا، وما زهده في ذلك كونه كتب كتابه للعلماء بل للراسخين في علوم الشريعة"[21].

أما ابن عاشور فقد عرفها بما يلي: "مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا: أوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها"[22] وجاء بعد ابن عاشور العالم المغربي علال الفاسي وأعطاها تعريفا مختصرا يقول فيه: "المراد بمقاصد الشريعة الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"[23]

وإذا كان الشائع هو أن مقاصد الشريعة تتعلق بالجانب العملي من الدين فقط فإن هذا من المعاني الخاطئة التي يجب أن تصحح ،يقول عبد المجيد النجار "إلا أنه في الحقيقة ينبغي أن يكون مصطلح مقاصد الشريعة متجها إلى كل ما هو أمر إلهي أو نهي، فذلك الأمر أو النهي المتعلق بالإيمان هو أيضا تشريع إلهي، وهو أيضا وضع من أجل مقاصد يهدف إلى تحقيقها ...ولهذا السبب فإنه ينبغي على ما نرى أن يكون مصطلح مقاصد الشريعة شاملا لمقاصد الدين عقيدة وشريعة، وإن كانت هذه المقاصد في الأحكام الشرعية العملية أبين، والحاجة إلى العلم بها أوكد لدوران الاجتهاد عليها، وأما العقائد فإن مجال الاجتهاد فيها مجال محدود ضيق" [24].

---

[21]– الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، –الطبعة الثانية –الرياض: نشر وتوزيع الدار العالمية للكتاب الإسلامي 1412هـ/1992م – ص5.

[22]– ابن عاشور مقاصد الشريعة الإسلامية– الطبعة الأولى –الشركة التونسية للتوزيع 1978 –ص51.

[23]– علال الفاسي، مقاصد الشريعة ومكارمها–دار الغرب الإسلامي _ص.

[24]– عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة _دار الغرب الإسلامي ط1 سنة 2006 ط 2 سنة 2008 بيروت –ص 15.

ومقاصد العقيدة هي الحكم والأسرار التي انطوت عليها العقيدة الإسلامية والتي تحقق صلاح الإنسان في العاجل والآجل. **إن** استقراء نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية يفيد أن العقيدة الإسلامية تنطوي على مصالح تحقق للإنسان سعادة الدارين . يقول أبو حامد الغزالي: "فقد ألقى الله –تعالى إلى عباده على لسان رسوله عقيدة هي الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، كما نطق بمعرفته القرآن والأخبار".[25]

ويقول كذلك: "الناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها، إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم، وأجمع السلف الصالح عليها."[26]

وللعقائد مقاصد عامة ومقاصد خاصة:

المقاصد العامة: وهي الحكم والمصالح التي تنطوي عليها العقيدة الإسلامية بكلياتها وأهمها: تكريم الإنسان .فمقاصد العقيدة كلها محورها الإنسان – تحرير الإنسان من كل مظاهر الطغيان –تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

المقاصد الخاصة:

وهي التي تتعلق بكل ركن أو متعلق من متعلقات الإيمان مستقلا بذاته. فمثلا ينطوي الإيمان باليوم الآخر على مجموعة من المقاصد أهمها: تحقيق الشعور بالمسؤولية، تحقيق التكافل الاجتماعي، تحقيق الأمن النفسي.

وحين نرجع إلى ما كتبه القدماء لا نجد التأليف في مقاصد العقيدة بصورة مستقلة، إلا أننا يمكن أن نجد كثيرا من هذه المقاصد متفرقة في ثنايا كتبهم. ويمكن أن ندرج ضمن مقاصد العقيدة مسألة الإيمان والعمل إذ بحثت هذه المسألة في إطار تحقيق الأبعاد الوظيفية للإيمان ومحاربة الانحرافات السلوكية في واقع المسلمين، فالمعتزلة والخوارج حين سلكوا مسلكهم في الاستدلال على كون العمل شرط صحة في الإيمان إنما كان السبب في دلك ما رأوه من تفريط في تحقيق مقاصد الإيمان في الواقع.

---

[25]– أبو حامد الغزالي، المنقد من الضلال- دار العلم للجميع ــ ص 32.

[26]– أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ــ مطبعة المكتبة العصرية 1992 بيروت - ج1 ص137.

وسلك كثير من علماء المسلمين مسلك الاستدلال المقاصدي في كثير من المسائل ولعل أغلب الآراء التي قال بها العلماء في المسائل العقدية كان المقصد منها إثبات التنزيه لله ــعز وجل ــ مثل: نفي الصفات عند المعتزلة كان المقصد منه تنزيه الله سبحانه عن المماثلة ونفي السببية عند الأشاعرة كان الهدف منه تنزيه الله تعالى أيضا.

ومن المحدثين سلك محمد الطاهر بن عاشور مسلك الاستدلال المقاصدي على العقيدة، ومن الأمثلة على ذلك: الاستدلال مقاصديا على بطلان بعض الآراء مثل: بطلان رأي المعتزلة في حكم مرتكب الكبيرة، إذ ذهبوا إلى أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين في الدنيا وهو في الآخرة مخلد في النار حكمه حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث ويغسل، ويصلى عليه، ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الدم واللعن والبراءة، واعتقاد عداوته وأن لا تقبل له شهادة)[27]. فيذهب ابن عاشور إلى أن هذا الرأي باطل ويستدل على ذلك مقصديا، إذ يرى أن هده الآراء، تؤدي إلى إفساد المجتمع، بسبب ما ينتج عنها من سوء معاملة العصاة من طرف من يزعمون أنهم لم يقترفوا ذنوبا. ثم إننا إدا اعتبرنا كل مرتكب معصية كافرا، وكانت التوبة قد تتأخر وقد لا تحدث فإننا نكون بذلك قد حكمنا على جميع المسلمين بالكفر لامتناع العصمة، إلى جانب كون دلك يؤدي إلى تحرر العصاة من كل القيود بحكم النتيجة التي حكم عليهم بها، يقول: لو راعى المسلمون مذهب الخوارج لكان إعلان الكفر والردة أهون عليه من البقاء في الإسلام مع معصيته لأنه يثقل نفسه بقيوده، ولا ينتفع برضا معبوده...[28]

وإذا بحثنا جيدا وجدنا أن كتب التفسير ورد فيها الحديث عن مقاصد العقيدة، ولكن بصورة موضعية ذلك لأن التفاسير التحليلية تمر مع النص القرآني كلمة كلمة، كما نجد ذلك في كتب التزكية ككتب أبي حامد الغزالي وابن قيم الجوزية. أما كتب الكلام فقد نحت منحى تجريديا، فخلت من الحديث عن مقاصد العقيدة .

27– محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ــ دار سحنون للنشر والتوزيع تونس 1997م–ص 270.

28– محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام –الشركة التونسية للتوزيع المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر –ص 112.

في القرن العشرين ظهرت مجموعة من المؤلفات تعرضت بالدراسة النقدية لكتب الكلام القديمة لخلوها من هذه المقاصد واهتمت بالحديث عن الأبعاد الوظيفية للإيمان، ومن هذه الكتب: مؤلفات سيد قطب مثل: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته وتفسير الظلال، وكتب محمد الغزالي مثل: عقيدة المسلم ومحاور القرآن الكريم ،وكتب القرضاوي مثل: الإيمان والحياة، وكتب عبد المجيد النجار مثل: الإيمان بالله وأثره في الحياة وكتب محمد المبارك –موضوع بحثنا – ولكي أحدد المقاصد العامة للعقيدة الإسلامية ومقاصدها الخاصة عند محمد المبارك، لابد من الوقوف على مفهوم العقيدة عنده:

ينطلق محمد المبارك في تحديده لمفهوم العقيدة من كون هذا اللفظ ليس قرآنيا، وإنما اصطلح عليه علماء المسلمين في العهد العباسي، واللفظ الذي ورد في القرآن الكريم هو لفظ الإيمان وهو أشمل لأنه ينسحب على المعنى العقلي والعاطفي للدين من جانبه الإيماني ،على عكس مصطلح العقيدة الذي يركز على الجانب الفكري فقط ،ويحلل ذلك بأن الإيمان يشمل حقائق أساسية كبرى عرضها القرآن الكريم وأيدها بالأدلة والشواهد، ودعا إلى تصديقها والإيمان بها، وكرر ذكرها بأساليب شتى وهي الأساس الذي تتفرع عنه قواعده الأخلاقية وأحكامه التشريعية، وهي القاعدة الفكرية النفسية التي أراد الله أن يقيم عليها بناء الإنسان وتكوينه. هذه الحقائق التي دعا القرآن إلى الإيمان بها هي:

_ الإيمان بالله خالق الكون.

_ الإيمان بالحياة الآخرة التي تتجلى فيها مسؤولية الإنسان ويتحدد مصيره الأبدي.

_ الإيمان بالنبوة والوحي، طريقا إلى معرفة الحقائق التي يريد الله أن يلقيها إلى الإنسان سواء كان موضوعها عالم الغيب أو حقائق ما وراء المادة أم كان توجيه الإنسان وتنظيم شؤونه في هذه الحياة الدنيا. وهناك نوع آخر من الحقائق وردت في القرآن على أنها طريق إلى النوع الأول لكنها ليست مقصودة لذاتها، وهي تكرر في القرآن الكريم لدعم وتأييد الحقائق الأولى مثل: مشاهد الكون وآفاقه الواسعة وحوادثه المتجددة وسننه المطردة وحياة الإنسان في خلقه وتكوينه ... مجموع الحقائق الأولية والثانوية، يكون نظرة الإسلام إلى الوجود:

الكون والإنسان، ونظرته إلى الصلة بين الله والكون وبين الله والإنسان وبين الكون والإنسان وهذا ما يسمى بالعقيدة.[29]

المقاصد العامة للعقيدة:

تناول محمد المبارك المقاصد العامة للعقيدة الإسلامية في مواطن متفرقة من كتبه، أحيانا مرافقة لتقريره للعقيدة الإسلامية وأخرى في مواطن متفرقة كالمقارنة بين النظام العقدي الإسلامي وغيره من الأنظمة، والحديث عن خصائص المجتمع الإسلامي الأول وكأنه يريد أن يبين بطريقة استرجاعية للتاريخ الإسلامي في عهوده النقية ما حققته العقيدة من مقاصد في الواقع الإسلامي، وقد عبر عبد المجيد النجار عن هذه المعاني في كتابه الإيمان بالله وأثره في الحياة إذ ذكر أن واقع المسلمين لا يعبر عما يحدثه الإيمان من تغيير في الواقع، ولذلك لابد من اللجوء إلى استرجاع التاريخ للاستدلال على ذلك. وقد حاولت استنتاج بعض المقاصد العامة عند محمد المبارك وهي:

– **تحرير الإنسان المؤمن من كل مظاهر العبودية**: يرى المبارك أن العقيدة الإسلامية أعلنت ميلاد الإنسان بتحريره من مظاهر كثيرة للعبودية قيد البشر بها أنفسهم لعهود طويلة ومن مظاهر هذا التحرير:

أ – التحرير الفكري: فحررته عقيدة الإسلام من سلطان الخرافات والأساطير المرتبطة بالعقائد الوثنية، وأعطته التصور الصحيح لعلاقته بالكون، فقد وجه القرآن نظر الإنسان إلى الكون وما فيه وأزال ما بينه وبين النظر المتبصر من حواجز نسجتها العقائد الوثنية، وما يتصل بها من أساطير وخرافات، فقد أعدت العقيدة الإسلامية الأفكار إعدادا كاملا لنمو التفكير العلمي. وقد كان لهذه النظرة المتميزة أثار طيبة على الحضارة الإسلامية يقول "إن تغيير الإسلام الصلة بين الكون والإنسان، من كون أو (طبيعة) مقدس يعلو على الإنسان، إلى طبيعة مسخرة ومذللة وخاضعة للإنسان الحاكم عليها والمستثمر لها تغيير في مجرى الحضارة كله وخروج من تعطيل الإنسان وانحطاطه إلى تنشيطه ورفع مستواه ،من أجل

[29]– محمد المبارك، العقيدة في القرآن الكريم، ص 9.

هذا كان الإسلام متشددا في كل مظهر من مظاهر الوثنية لئلا تطل برأسها من جديد في أي شكل من الأشكال"[30].

ب_ التحرير السياسي والاقتصادي والديني: فقد أعلنت العقيدة الإسلامية أن خضوع الإنسان لا يكون إلا لله وحده، فلا ألوهية لفرعون لسلطانه السياسي، ولا لقارون لسلطانه المالي، ولا للرهبان لسلطانهم الديني، وقد لخص هذا المعنى تلخيصا بليغا الصحابي ربعي بن عامر حين قال لقائد الفرس: "إنما جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلي عبادة رب العباد"[31].

– **التغيير والفاعلية**: إن النظريات الفلسفية لما كانت تتحرك على مستوى العقل وحده فإنها ما كانت فعالة ،ففلسفة أرسطو وأفلاطون لم تغير في المجتمعات أو الحضارة الإنسانية لأنها كانت آراء يتلهى العقل فقط بمناقشتها، أما العقيدة الإسلامية فهي ماثلة في الذهن حية في النفس والقلب تنبض بها العروق، وتتحرك بها الإرادة والجوارح. "وأما العقيدة التي جاء بها القرآن، وهي عقيدة الإيمان بالله الواحد رب العالمين، وبالحياة الآخرة وحسابها فقد كانت قوة فعالة، محركة غيرت مجرى التاريخ وبدلت معالم الحضارة وأحدثت في حياة الإنسانية الاجتماعية والفكرية انقلابات رائعة، ونشرت مفاهيم جديدة للحياة وأقامت على أساسها حضارة رائعة كان القرآن دستورها والعربية لغتها ومبادئ المساواة والعدل والإنسانية أسسها"[32].

– **تكوين الشعور المزدوج بالمسؤولية**: ويرى أن هذه المهمة كانت مهمة جميع الأنبياء فقد عملوا على غرس الشعور بالمسؤولية في الحياة الأخرى دون الإخلال بوظيفة الخلافة يقول: "ومن هنا بدأ الأنبياء وهذا هو الأساس العميق الذي جاءوا به ليقيموا عليه بناء الحياة الإنسانية الصحيحة المثلى ،ومن هنا بدأ الإسلام بتكوين الشعور بالمسؤولية في قلب الإنسان وعقله في حياة أخرى بعد هذه الحياة الظاهرة دون أن يخل بموازين هذه الحياة

30– محمد المبارك، الإسلام والفكر العلمي، ص44.

31– أنظر محمد المبارك، المجتمع الإسلامي المعاصر، ص50.

32– محمد المبارك، نحو إنسانية سعيدة، ص 74.

ومقاييسها، بل إنه جعل النظرة إلى تلك الحياة أساسا متينا في إصلاح هذه الحياة، لذلك كانت الأخلاق وقواعد التشريع والحكم مدعومة بعقيدة المسؤولية في حياة أخرى، ومبنية على أساس هذه النظرة البعيدة، فكانت العقيدة مرتكزا متينا للأخلاق والتشريع وانبثق عن هذه العقيدة الشعور العميق بمسؤولية الإنسان في هذه الأرض التي استخلف فيها، استخلف في الطبيعة ليكتشفها وليستثمرها، وفي الأسرة ليكون عضوا صالحا فيها، وفي المجتمع ليكون عنصرا فعالا يعمل لخيره وخير الناس ينصر الحق ويعين على إقامة العدل"[33].

-**تنشيط عمارة الأرض**: الإنسان في العقيدة الإسلامية مستخلف من الله في هذه الأرض، ومطلوب إليه عمارتها والانتفاع بما أودع الله فيها من منافع، ولم يذكر جانبا من جوانب هذا الكون في القرآن أو مخلوق من مخلوقاته إلا ذكر معه منافعه للإنسان، ووجه إلى استثماره والانتفاع به، وكذلك كان توجيه النبي -صلى الله عليه وسلم -في أحاديثه إلى موضوع الكسب والعمل، وبذلك كانت العقيدة الإسلامية دافعا إلى العمل وإلى تنشيط الحياة الاقتصادية، وإلى استثمار ما في الكون من ثروات ومنافع، ولذلك ازدهرت الحياة الاقتصادية في القرون التي أعقبت ظهور الإسلام ازدهارا عظيما[34].

المقاصد الخاصة للعقيدة الإسلامية:

وسأكتفي هنا بالحديث عن مقاصد الإيمان بالله والإيمان بالحياة الآخرة وقد تناولها محمد المبارك أيضا متفرقة في ثنايا كتبه:

_ مقاصد الإيمان بالله – عز وجل –:

سلك محمد المبارك في حديثه عن الإيمان بالله _تبارك وتعالى – مسلكا مخالفا لما نهجه علماء العقيدة في الكتب القديمة، فلجأ إلى القرآن الكريم مباشرة لتحديد صلة الإنسان بالله _سبحانه _.

لقد انطلق لتحقيق الإيمان الراسخ عند الإنسان من معرض الآيات القرآنية التي تحدثت عن الكون بكل تجلياته بما في ذلك الإنسان الذي يعتبر أرقى جزء فيه، فكل ما

---

[33]- المرجع نفسه، ص58.

[34]- محمد المبارك، المجتمع الإسلامي المعاصر، ص 50، 51.

توصل إليه علماء الكلام من أدلة على وجود الله وصفاته مبثوث في القرآن الكريم لكنه بمنهج يوافق جميع مستويات العقول يقول: "وجميع الأدلة المعروفة في علم الكلام، وفي فلسفة ما وراء الطبيعة مبثوثة في القرآن ولكن بطريقة حية، وبأسلوب يمكن أن تفهمه الخاصة والعامة كل بقدر طاقته، كما يشير إلى ذلك الشاطبي في موافقاته، وكما يذكر ابن رشد في: مناهج الأدلة في عقائد الملة، فلو جمعنا أدلة المتكلمين في الوحدانية لما خرجت عن هذه الآيات..."[35] ويذكر محمد المبارك أن منهج القرآن في الحديث عن الإيمان يثير أغوار النفس البشرية عن طريق إثارة عاطفة الإنسان دون أن يدخل الضيم عل قوة أدلته يقول: "فالقرآن يخاطب الإنسان ويثيره عن طريق قضاياه ومشكلاته، ليحرك تطلعه وقلقه إلى معرفة الحقيقة ذات الصلة بحياته الحاضرة ومصيره البعيد ويجعله بذلك متهيئا للتفكير في الله ومستعدا لقبول نتائج المنطق المنسجم مع منفعته"[36].

إن عرض الإيمان بمنهج القرآن الكريم من شأنه أن يحقق مقصدا أساسا إذ يجعل هذا الإيمان مستساغا عند الخاصة والعامة، فيعود هذا القرآن إلى تحريك النفوس والارتفاع بالإنسان ودفعه إلى إقامة حضارة مبرأة من شوائب المذاهب المادية على اختلاف أنواعها.[37]

وبعد القراءة المتأنية لما كتبه محمد المبارك في عقيدة الإيمان بالله نستنتج مجموعة من المقاصد لهذا الركن:

أ – الإقناع العقلي عن طريق الحديث عن تجليات الأدلة في الكون والإنسان: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم)[38]، وعن طريق المقارنة بالعقائد المنحرفة.

ب– الإقناع العاطفي: عن طريق ترغيبه بتحقيق منافعه ومصالحه وحاجاته وملذاته، وعن طريق تنمية صلته بالله، وهنا يشير محمد المبارك إلى أن الإيمان في القرآن يخلق علاقة

---

[35]– محمد المبارك، العقيدة في القرآن الكريم، ص 32

[36]– المرجع نفسه، ص 25

[37]_ محمد المبارك، العقيدة في القرآن الكريم، ص 44، 45

[38]– فصلت / 53

بين الإنسان والله _عز وجل – تتميز بالنماء والزيادة والقوة ،و الألفاظ المعبرة عن العلاقة التي يوجدها الإيمان بين الله والإنسان كثيرة في القرآن الكريم منها: يسبحون ويخافون ويرجون ويستغيثون ويحبون ويدعون ويشكرون ويخشعون، ويتحدث بصورة واسعة عن مقاصد الصفات بعيدا عن الجدل الكلامي، إذ يقول: "وهاهنا يبدو الفرق البعيد والهوة السحيقة بين العقيدة النظرية في الفلسفة الإلهية (الميتافيزيك) وبين العقيدة الحية في القرآن الكريم التي تعقد بين الله والإنسان صلة تتصف بالنماء والزيادة والقوة ... وهاهنا يبدو لنا جانب هام جدا في العقيدة القرآنية أو الإيمان القرآني هو أن لصفات الله المنبثة في القرآن الكريم إيحاءاتها في نفس المؤمن فالله رحيم ترجى رحمته، ومنعم تشكر نعمته، وعفو يقبل التوبة عن عباده، وقدير تبعث على التفكير قدرته، وعظيم يسجد لعظمته، ومجيب يوجه إليه الدعاء، وقوي يستعان به، وإذا سمع المؤمنون كلامه يتلى عليهم يخرون للأذقان خشوعا، وهو حكيم يلجأ إلى عدله، وآمر يطاع أمره ومالك الملك تبتغى مرضاته، وهو الحي فادعوه مخلصين له الدين، واسألوا الله من فضله"[39] إن علاقة الإنسان بالله علاقة حب يغذيها الإيمان الصادق: "وليس في الوجود شعور أجمل وأروع من شعور الإنسان أن الله خالق الكون كله يبادله حبا بحب وذكرا بذكر وقربا بقرب ورضى برضى" [40]

ج- تحقيق البعد العملي للإيمان: القرآن الكريم حين يتحدث عن الذات الإلهية وبعد تحقق مقصد الإقناع العقلي والعاطفي يفيد أنه لابد من تحقق المقصد الأخير وهو تجلي مقاصد هذا الإيمان في حياة الإنسان يقول محمد المبارك: "بعد أن تتجلى الذات الإلهية بصفاتها المستلزمة لها والتي تتكرر وتتردد كثيرا في أواخر الآيات وفي ثناياها، لا يقتصر القرآن على ذلك، كما يقتصر العلماء النظريون، بل ينقل الإنسان من الإيمان بالخالق المقدر المنعم الذي ملأ به نفسه عقله وقلبه إلى عبادته والخضوع له"[41]

[39]_ محمد المبارك، العقيدة في القرآن الكريم، ص41، 42.

[40]- محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ص73.

[41]- محمد المبارك، العقيدة في القرآن الكريم، ص39.

إن عبادة الله —تبارك وتعالى مقصد من مقاصد العقيدة يقول ــسبحانه ــ (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [42]وقد تحدث محمد المبارك عن العبادة بمفهومها الخاص والعبادة بمفهومها العام. والإيمان الصحيح لا يتحقق إلا بالتوجه الصحيح في العبادة، إذ ما فائدة الاعتقاد النظري بإله واحد إذا كان الإنسان في حياته العملية ينسى هذا الاعتقاد ويتخذ في حياته غايات أخر . يقول: "إن الطريق الوحيد الذي يجنبك هذا التناقض بين اعتقادك وعملك أن تعتقد اعتقاد المؤمنين وتعمل بعمل المشركين بالله، الكافرين لأنعمه هو أن تعبد الله وحده، ولا تشرك بعبادته شيئا، لذلك شرع الله في الإسلام العبادة وفرضها، واعتبر تركها معادلا أو قريبا لترك العقيدة من أساسها. إن المعرض عن عبادة الله معرض عن إنسانيته ..."[43]

مقاصد الإيمان بالحياة الآخرة:

من نعم الله ــتبارك وتعالى على الإنسان أن أعطاه عن طريق الوحي حقائق كثيرة عن اليوم الآخر وهذا فضل منه ــعز وجلــ على عباده فقد تاه الفكر البشري في محاولة معرفة حقيقة المصير، أما الذين ينكرون وجود عالم آخر فإنما الباعث لهم عل ذلك هو الشهوة الجامحة في النفس والرغبة في التخلص من المسؤولية والانطلاق مع الأهواء . وقد وردت في القرآن الكريم أدلة كثيرة على البعث تاريخية وعقلية، وقد تناولها محمد المبارك في ثنايا كتبه، كما تحدث بالتفصيل عن مراحل الحياة الآخرة كما وردت في القرآن الكريم والذي يهمنا في هذا البحث هو مقاصد الإيمان بهذه الحياة، وقد تحدث عن مجموعة من المقاصد منها:

ــ تأكيد مسؤولية الإنسان عن أعماله في الحياة الدنيا: تحدث القرآن الكريم كثيرا عن حياة آخرة بعد هذه الحياة سماها تارة الدار الآخرة وأحيانا اليوم الأخر، ويرى المبارك أن حديث القرآن الكريم عن ذلك كان متنوعا، والحقيقة التي تتكرر دائما وفي كل موضع تذكر فيه الحياة الآخرة ويلح القرآن ويؤكد في الدعوة إلى الإيمان بها هي مسؤولية الإنسان عن

[42] – الذاريات /58.

[43]ــ محمد المبارك، نحو إنسانية سعيدة، ص75، 76.

أعماله في الحياة الأولى . حتى إنه ليبدو أنها هي المقصود الأساسي من ذكر الآخرة وما فيها ومن ذكر مقدماتها السابقة لها ونتائجها .[44]

ويسوق مجموعة من الآيات التي تؤكد ذلك منها: (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد) [45] (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)[46] (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)[47]

– تأكيد حقيقة تكامل الوجود والعدالة الإلهية: إن وجود حياة أخرى بعد هذه الحياة ينطوي على مقاصد منها تحقيق التكامل الوجودي للإنسان: "لقد عرفنا أن لهذا الكون خالقا مدبرا ولا نزال في كل يوم نكتشف من أسرار خلقه ما يزيدنا إيمانا بحكمته وبكماله المطلق ورحمته فيما يخلق أوليس من مقتضى حكمته وعدالته أن يكمل هذه الحياة البشرية ويعوض ما فيها من نقص وشر وظلم في حياة كلها خير وكمال وعدل ورحمة، إن قليلا من التفكير السليم والفطرة الصادقة يكفي لأن يؤمن الإنسان بهذه الحياة المثالية الكاملة"[48]

– الاستقامة والانطلاق الحضاري: إن التأمل في آيات القرآن يرشدنا أن مقصد الإقناع العقلي بوجود حياة آخرة ليس هو غاية القرآن الكريم وحده بل إلى جانب ذلك يتجلى مقصد تحريك العواطف، وحدوث الانفعال النفسي في نفس المتفكر في مصيره وما يحدثه ذلك من عواطف الخوف من المصير، والخجل والحياء من الله الخالق المنعم والخشية

---

[44]–محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ص 136.

[45] – آل عمران /30.

[46] – الإسراء/13–14.

[47] – الكهف /49.

[48]_ محمد المبارك، نحو إنسانية سعيدة، ص 52.

من لقائه وحسابه، والرغبة في تجنب سخطه وغضبه والوصول إلى مرضاته ومحبته وهذه عواطف سامية ترتقي بالإنسان في الدنيا والآخرة يقول: " وهذه العواطف كلها إذا بقيت شعلتها متوقدة في النفس كانت كل واحدة منها حافزا للإنسان على العمل فيما يرضي الله وعلى السلوك الصالح في هذه الحياة."[49]

لقد كانت الخشية من الله والإيمان بحسابه دافعا قويا للمسلمين الأوائل في الانطلاق الحضاري بكل معانيه ففتحوا الدنيا وأقاموا فيها العدل وثاروا ضد الظلم ونهوا عن المنكر بدافع الإيمان باليوم الأخر " فلم يكن عدل عمر ولا بر عثمان وتضحيته ولا زهد أبي بكر ولا جهاد علي ولا فتوحات أبي عبيدة وخالد منبعثة عن رقابة الناس أو طلبا لالتفافهم حولهم ولا ناشئة عن ضغط المجتمع ولا طلبا لثقة الناس أو طمعا في تكوين مجد ولكن الدافع أنبل من ذلك كله وأقوى أثرا وأعمق في النفس إنها خشية الله التي خامرت قلوبهم والرغبة في مرضاته وإيمانهم بأن أعمالهم ستعرض عليه في يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار في يوم تسقط فيه العظمات الدنيوية ...إن العصر الذي كان المسلمون أشد ما يكونون نشاطا في هذه الدنيا في حياتهم السياسية والفكرية والاقتصادية هو نفسه ذلك العصر الذي كانوا فيه أشد إيمانا بالحياة الآخرة وحسابها" [50]

الخاتمة:

بعدما تقدم نخلص إل أن محمد المبارك شخصية إسلامية متميزة شاركت في تكوينها : الأسرة التي عاش في وسطها وما تميزت به من الحفاظ على الدين والعلم، إلى جانب التلقي المباشر على أكبر علماء عصره الشيخ بدر الدين الحسني، والتلقي غير المباشر عن ابن تيمية وابن قيم الجوزية والشاطبي إلى جانب الاتصال بزعماء الحركات الإصلاحية والتحررية كالأمير شكيب أرسلان وزعماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هذا من جهة الثقافة الإسلامية أما من جهة الثقافة الغربية فقد مكنته دراسته في السوربون من التعرف المباشر على التفكير الغربي والاستشراقي ونقده.

49- المرجع نفسه، ص155.

50_ المرجع نفسه، ص 56، 57.

تميزت كتابات محمد المبارك بالحديث عن مقاصد العقيدة، فهو وإن لم يفردها بكتاب مستقل فإنها موجودة في ثنايا كتبه، وقد حاولنا استنتاج بعض المقاصد العامة والمقاصد الخاصة للعقيدة الإسلامية من خلال آثاره، وهذا المنحى في العرض للعقيدة الإسلامية يجعلها أكثر إشعاعا في المجال الفكري والروحي والعملي، وهو يعطي قوة ودافعية للعقيدة الإسلامية لأنه يخرجها من القوالب التجريدية التي صاغها بها علم الكلام القديم.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

1- أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال . دار العلم للجميع.

2- // // : إحياء علوم الدين. ج 1 مطبعة المكتبة العصرية 1992 بيروت.

3- حسني أدهم جرار: محمد المبارك العالم والمفكر والداعية.—دار البشير — ومؤسسة الرسالة. ط1 1998. الأردن —عمان.

4- الريسوني: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي،-ط2 —الرياض: نشر وتوزيع الدار العالمية -للكتاب الإسلامي 1412هـ/1992م.

5- عبد المجيد النجار: مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة __دار الغرب الإسلامي ط1 سنة 2006 ط 2سنة 2008 بيروت.

6 - علال الفاسي : مقاصد الشريعة ومكارمها-دار الغرب الإسلامي.

7- علي الطنطا وي: ذكريات -دار المنارة - 1989. جدة.

8- محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية- الطبعة الأولى —الشركة التونسية للتوزيع 1978. تونس.

9- // // : التحرير والتنوير __ دار سحنون للنشر والتوزيع 1997م. تونس.

10- // // : أصول النظام الاجتماعي في الإسلام الشركة التونسية للتوزيع المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.

11- محمد المبارك: الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية - دار الفكر- بيروت.

12- // // : المجتمع الإسلامي المعاصرط4— 1879م دار الفكر، بيروت.
13- // // : العقيدة في القرآن الكريم—دار الفكر- دمشق.
14- // // : ذاتية الإسلام أمام المذاهب والعقائد —دار الفكر- بيروت.
15- // // : نحو إنسانية سعيدة حلقات من نظام الإسلام —دار الفكر بيروت.
16- // // : بين الثقافتين الغربية والإسلامية . 1980م. دار الفكر. بروت.
17- // //: الإسلام والفكر العلمي: -دار الفكر ط الأول 1978م بيروت.
18. محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم -عالم المعرفة جدة - دار الفكر 1980 بيروت.
19- موقع أدباء الشام
20- موقع، مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجية.
21- موقع، موسوعة الإخوان المسلمون.